

خطبة الجمعة القادمة: حق الوطن والشهادة في سبيله في ضوء الإسراء والمعراج

بتاريخ: 28 رجب 1442هـ - 12 مارس 2021م

عناصر الخطبة:

العنصر الأول: منزلة الشهداء في ضوء مشاهد رحلة الإسراء والمعراج

العنصر الثاني: كرامات ومنازل الشهداء عند الله في الآخرة

العنصر الثالث: حق الوطن في ضوء مشاهد رحلة الإسراء والمعراج

الموضوع

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه الكريم: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} (آل عمران: 169). وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. **أما بعد:**

العنصر الأول: منزلة الشهداء في ضوء مشاهد رحلة الإسراء والمعراج

عباد الله: إن منزلة الشهادة من أعلى المنازل عند الله تعالى؛ وقد شاهد رسولنا صلى الله عليه وسلم مشاهد عديدة في رحلة الإسراء والمعراج؛ هذه المشاهد كانت بمثابة رسائل لهذه الأمة؛ ومن بين هذه المشاهد؛ مشهد رؤية الشهداء والمجاهدين في سبيل الله تعالى؛ ففي حديث الإسراء الطويل: " فأتى على قوم يزرعون في يوم، كلما حصدوا عاد كما كان! فقال: يا جبرائيل! من هؤلاء؟ قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله، تضاعف لهم الحسنة بسبعمئة ضعف، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه. " (البيهقي في دلائل النبوة).

هذا المشهد العظيم جعل نبيكم صلى الله عليه وسلم يتمنى تكرار الشهادة مقسمًا فقال: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ. " (متفق عليه). قال ابن بطال: " فيه فضل الشهادة على سائر أعمال البر لأنه - صلى الله عليه وسلم - تمناها دون غيرها، وذلك لرفع درجاتها، وكرامة أهلها لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وذلك والله أعلم لسماحة أنفسهم ببذل مهجتهم في مرضاة الله وإعزاز دينه، ومحاربة من حاده وعاداه، فجازاهم بأن عوضهم من فقد حياة الدنيا الفانية الحياة الدائمة في الدار الباقية، فكانت المجازاة من حسن الطاعة. " أ.هـ.

وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ يَسْرُهُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا إِلَّا الشَّهِيدُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ؛ فَإِنَّهُ يَسْرُهُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى. " وعنه أيضًا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ. " (أخرجهما البخاري).

ولذلك تمنى عبدالله - والد جابر رضي الله عنهما والذي استشهد في غزوة أحد - الرجوع إلى الدنيا ليقتل في سبيل الله مرة أخرى؛ لما يراه من النعيم! فعن جابر بن عبد الله يقول: " لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَرَامٍ يَوْمَ أُحُدٍ،

لَقِينِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا جَابِرُ ، مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اسْتُشْهِدَ أَبِي ، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدِينًا ، قَالَ: أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ ؟ قَالَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا ، فَقَالَ: يَا عَبْدِي، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي، فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، فَقَالَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَهْمُ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ، قَالَ: يَا رَبِّ، فَأَبْلُغْ مِنِّي وَرَائِي، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}. (ابن ماجة والترمذي وحسنه).

فينبغي أن تسأل الله الشهادة وتضحى بنفسك وأهلك من أجل الله ، وتتمنى الشهادة بصدق ونية خالصة؛ فعن سهل بن حنيف-رضي الله عنه- قال: - صلى الله عليه وسلم - " مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ ؛ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنْزِلَ الشُّهَدَاءِ ؛ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ " (مسلم)، يقول الإمام النووي: "معناه: أنه إذا سأل الشهادة بصدق أعطي من ثواب الشهداء، وإن كان على فراشه . وفيه: استحباب سؤال الشهادة ، واستحباب نية الخير . ". (شرح مسلم).
لذلك كان عمر رضي الله عنه يقول في دعائه: " اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك - صلى الله عليه وسلم - ". (البخاري)، وفي رواية للطبراني عن حفصة قالت : سمعت عمر يقول : " اللهم قتلاً في سبيلك ووفاءً ببلد نبيك . قالت فقلت : وأنى يكون هذا ؟ قال: يأتي به الله إذا شاء ". وفي فتح الباري: " عن عوف بن مالك أنه رأى رؤيا فيها أن عمر شهيد مستشهد، فقال لما قصها عليه أني لي بالشهادة وأنا بين ظهراي جزيرة العرب لست أغزو والناس حولي ثم قال: بلى يأتي بها الله إن شاء ".
واستجاب الله دعاءه ورزقه الله الشهادة ودفن بجوار المصطفى -صلى الله عليه وسلم -.

العنصر الثاني: كرامات ومنازل الشهداء

عباد الله: تعالوا أسوق لكم ولكل شهيد على أرض الوطن عدة فضائل وكرامات خص الله بها الشهداء الأبرار، والتي يتمنى كل واحد منا الشهادة على أثرها؛ كما تمنى ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام!!
إن ثمرات الشهادة وكرامات الشهداء كثيرة في الدنيا والآخرة، وقد جمع صلى الله عليه وسلم بعضاً منها في الحديث الشريف؛ فعن المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يَغْفِرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ. ". (ابن ماجة والترمذي وصححه).

ومن هذه الفضائل والكرامات: الحياة بعد الاستشهاد مباشرة : قال تعالى: { وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ } (البقرة: 154)

ومنها: أن من يكلم في سبيل الله يأتي يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ؛ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللُّونُ لَوْنُ الدَّمِّ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ. " (البخاري).

ومنها: أن الشهيد في الفردوس الأعلى : ففي البخاري أن أم حارثة أتته صلى الله عليه وسلم فقالت: " يا نبي الله ألا تُحدّثني عن حارثتي؟ وكان قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرَبٌ؛ فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ. قَالَ: يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جَنَّانٌ فِي الْجَنَّةِ؛ وَإِنَّ ابْنَكَ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى."

ومنها: أن الملائكة نزل الشهيد بأجنحتها : فعن جابر قال: " جِيءَ بِأَبِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ وَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ فَذَهَبَتْ أَكْشِفُ عَنْ وَجْهِهِ فَنَهَانِي قَوْمِي؛ فَسَمِعَ صَوْتَ صَائِحَةٍ فَقِيلَ: ابْنَةُ عَمْرٍو أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو؛ فَقَالَ: لَمْ تَبْكِي أَوْ لَا تَبْكِي؛ مَا زَالَتْ الْمَلَائِكَةُ تُظَلُّهُ بِأَجْنِحَتَيْهَا. " (البخاري ومسلم).

ومنها: أن الشهداء لا يفتنون في القبور : وقد تقدم حديث المقدم بن معدي كرب وفيه " ويجاز من عذاب القبر ".، وأخرج الحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عن هذه الآية : { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ }، من الذين لم يشأ الله أن يصعقهم ؟ قال : هم شهداء الله " ، (وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه) .

ومنها: أن الشهيد لا يشعر بألم القتل وسكرات الموت : روى الترمذي وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة " (وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب) ، وكان علي يحض على القتال ويقول : (إن لم تقتلوا تموتوا ، والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش) .

هذه هي كرامات الشهداء ومنازلهم وفضائلهم عند الله في الدنيا والآخرة؛ والتي رأي نبينا بعضها في رحلة الإسراء.

العنصر الثالث : حق الوطن في ضوء مشاهد رحلة الإسراء والمعراج

ء بادال له: إن المشاهد التي رآها رسولنا في رحلة الإسراء والمعراج رسائل وإشارات تحذير للأمة من هذه الانحرافات؛ حيث كانت العقوبات الشديدة المنفرة، فيحذر النبي الأمة من هذه الآفات؛ لأنها أمراض اجتماعية تدمر الوطن والفرد والمجتمع؛ وأكتفي هنا بذكر ثلاثة مشاهد تتعلق بحق الوطن والمجتمع الذي نعيش فيه:

أولاً: رؤية أهل الغيبة : فعن أنس . رضي الله عنه . قال: قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": لما عُرِجَ بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟، قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم" ؛ والغيبة : ذكرك أخاك في غيابه بما يكره ؛ وهي محرمة بالكتاب والسنة؛ قال تعالى: { وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ } . (الحجرات: 12) . وعن أبي هريرة ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ . قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهْتَهُ " . (مسلم) . وعن أبي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم: " يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه: لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته " . (أبو داود وابن حبان وصححه) .

وكفى هذه الفعلة قبحاً أن صاحبها كالذباب لا يكاد يقع إلا على المستقذرات والمنتنات والمستقبحات ذوقاً وعرفاً، بل وشرعاً. وهذه رسالة قوية للأمة بتحريم هذه الآفة؛ التي تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب .

ثانياً: رؤية أهل الربا : فعن سمرة بن جندب قال : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم : رأيت ليلة أُسري بي رجلاً يسبح في هَرٍ ويُلَقَمُ الحِجَارَةَ، فسألت: ما هذا؟ فقيل لي: آكل الربا " . (أحمد بسند صحيح) .

فالله - عز وجل - قد حرّم الربا؛ في قوله تعالى: { وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا } [البقرة: 275]، ويقول تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ } [البقرة: 278 - 279]، فهذا وعيد شديد لمن لم ينته عن الربا. وعن جابر - رضي الله عنه - قال : " لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤَكِّلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ " . (مسلم) .

فإياكم والربا؛ وما أكثر طرق أكل الربا في هذا الزمان؛ واعلموا أن آكل الربا ملعون، واللعنة: هي الطرد من رحمة الله - عز وجل - فعلينا بتقوى الله - سبحانه وتعالى - وأكل الحلال، والبعد عن أكل الحرام، والبعد عن التعامل بالربا الذي يُطرد آكله من رحمة الله تعالى. وهذه أيضاً رسالة قوية للأمة وتحذير لها من آفة الربا وعواقبه الوخيمة .

ثالثاً: رؤية أهل الأمانة: ففي الحديث: " ثم مرّ على رجلٍ قد جمع حزمةً عظيمةً لا يستطيع حملها وهو يريد أن يزيد عليها. قال: يا جبريلُ ما هذا؟ قال: هذا رجلٌ من أمتك عليه أمانةٌ لا يستطيع أداءها؛ وهو يزيد عليها " .

فهذه رسالة قوية لكل أفراد الوطن؛ فكل واحد منكم استرعه الله على رعية أو عمل فهو في رقبته أمانة يُسأل عنها أمام الله يوم القيامة، فالشعوب أمانة في أيدي الزعماء، والدين أمانة في أيدي العلماء، والعدل أمانة في أيدي القضاة، والحق أمانة في أيدي المحامين، والصدق أمانة في أيدي الشهود، والمرضى أمانة في أيدي الأطباء، والتلميذ أمانة في أيدي الأستاذ، والمصلون أمانة في أيدي العاملين بالمسجد، والولد أمانة في أيدي أبيه، والوطن أمانة في عنق الجميع، ألا "فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ." {البقرة: 283}، فبادر بذلك يا عبدالله حتى لا تقع في زمرة الخائنين وتحمل الأمانة على عاتقك في الآخرة حتى تؤديها لصاحبها . فعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لُؤَاءٌ فَيَقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ بِنِ فُلَانٍ (متفق عليه)، فراجع نفسك وأد الأمانة قبل أن يرفع لواء غدرك، فتفضح على الملأ أمام الخلائق يوم القيامة.

وهكذا كانت هذه المشاهد وغيرها رسائل تذكير وتوعية للأمة؛ لبناء الأوطان؛ وصلاح البلاد والعباد دنيا وأخرى .

نسأل الله أن يحفظ وطننا؛ وأن يرزقنا عيش السعداء، وميئة الشهداء، ومرافقة الأنبياء .

الدعاء..... وأقم الصلاة..... كتبه : خادِم الدعوة الإسلامية

د / خالد بدير بدوي